﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ [الكهف: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد نفي العجب عن قصَّتهم شرعَ بروايتها إجابةً لسؤالهم

لمّا ذكر النَّظمُ الجليلُ في الآية السّابقة إنكارَ حِسبانهم أنَّ قصَّة أصحاب الكهف مِنَ الآيات العجيبة؛ شرع في بيان قصَّتهم إجابة عن سؤالهم، ومن المناسبة كذلك أنَّه "لمّا صغَّر أمرهم بالنِّسبة إلى جليل آياته، وعظيم بيِّناته، وغريب مصنوعاته؛ لخَّص قصَّتهم التي عدّوها عجبًا، وتركوا الاستبصار على وحدانيَّة الواحد القهّار بما هو العجب العجيب، والنَّبأ الغريب، فقال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى﴾"[1]، مُبتدئًا بذكر أحوالهم؛ ليُعلم الناس بثبات إيمانهم بالله ورجائهم فيه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَوَى﴾: (أوى) أَصلٌ يدلُّ على التَّجَمُّع، يُقالُ: أَوى الرَّجُلُ إلى مَنزِلِه وآوى غَيرَهُ أويًّا وإيواءً، قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ﴾ [المؤمنون: 50]، والمَأوى: مَكانُ كُلِّ شَيْءٍ يأوي إِلَيهِ لَيلًا أَو نَهارًا[3]، أَويْتُ مَنْزلي وإلى مَنْزِلي: عُدْتُ، وآوانًا: أَي ردَّنا إلى مأْوىً لَنا، ولَم يَجْعَلْنا مُنتَشِرينَ كالبهائم، والمَأْوى: المنزلُ[4]، تقول: أوى إلى كذا: انضمَّ إليه، وآواهُ غيره يُؤْويه إيواءً، قال ﷻ: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ﴾ [هود: 43]، وقال تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ [يوسف: 69]، أي: ضمَّه إلى نفسه[5]، ومعناه في الآية "صاروا إليه، ونزلوه، وسكنوه، والتَجَؤوا إليه، وجعلوه مأواهم"[6].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 17.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 259.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أوى).
(4) ابن منظور، اللسان: (أوا).
(5) الرّاغب، المفردات: (أوى).
(6) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 15.

2) ﴿ٱلۡفِتۡيَةُ﴾: (فتي) أصلٌ يَدلُّ عَلَى طَراوةٍ وجِدَّةٍ، الفَتيُّ: الطَّريُّ مِنَ الإبِلِ، والفَتَى مِنَ النّاسِ: واحِدُ الفِتْيانِ[1]، والفَتاءُ: الشَّباب، والفَتَى والفَتيَّةُ: الشابُّ والشابَّةُ، والفِعْلُ فَتو يَفْتو فَتاء[2]، والمراد في الآية بالفتية أصحاب الكهف، جمع فتًى، وهو الطَّريُّ من الشَّباب[3].

3) ﴿وَهَيِّئۡ﴾: (هيأ) أصله يدلُّ على الاستعداد، كالنّاقة المُتَهَيِّئَة التي قَلَّما تُخْلفُ أن تَحمل؛ إذا قُرِعَتْ، والهيئة حالُ الشَّيء وكيفيَّتُه، أي: صورَته وشكله، بأن تُعِدَّه؛ ليكون شيئًا معيَّنًا مطلوبًا، كقوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [آل عمران: 49]، و﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾، أي: أَعِدَّهُ وسَوِّه[4]، وتَقولُ: هِئْتُ للأَمر أَهيءُ هَيْئَةً، وتَهَيَّأْتُ تَهَيُّؤًا، ورَجُلٌ هَيِّئٌ: حَسَنُ الهَيْئَةِ، وهَيَّأَ الأَمرَ تَهْيِئَةً وتَهْيِيئًا: أَصْلحه، فَهو مُهَيَّأٌ[5]، والمراد في الآية إصلاح الأمر وإعداده[6].

4) ﴿رَشَدٗا﴾: (رشد) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقامَةِ الطَّريقِ، فالمَراشِدُ: مَقاصِدُ الطُّرُقِ، أَصابَ فُلانٌ مِنْ أَمرِهِ رُشْدًا ورَشَدًا[7]، وهو خلاف الغيِّ، يُستعمل استعمالَ الهداية[8]، رَشَد الإنسان، يَرْشُد رُشْدًا، ورَشِد يَرْشَد رَشَدًا ورَشادًا، فَهو راشِد ورَشيد، وهو نَقيضُ الضَّلالِ؛ إذا أَصاب وجْهَ الأَمر والطَّريقِ، والإِرْشادُ: الهدايَةُ والدَّلالَةُ[9]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾، أيْ: "إصابةً للطريق الموصلِ إلى المطلوب واهتداءً إليه"[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخاطب اللّهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ مُذكِّرًا إيّاه: "اذكر - أيُّها الرسول - حين لجأ الشبّان المؤمنون إلى الكهف؛ خشيةً من فتنة قومهم لهم، وإرغامهم على عبادة الأصنام، فقالوا:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتى).
(2) ابن منظور، اللسان: (فتا).
(3) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 16.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (هوأ - هيأ).
(5) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (هيأ).
(6) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 16.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رشد).
(8) الرّاغب، المفردات: (رشد).
(9) ابن منظور، اللسان: (رشد).
(10) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.

ربَّنا أعطنا مِن عندك رحمة، تثبِّتنا بها، وتحفظنا مِنَ الشَّرِّ، ويسِّر لنا الطريق الصواب الذي يوصلنا إلى العمل الذي تحبُّ، فنكون راشدين غيرَ ضالّين"[1].

لجوءُ الفتية إلى الكهف والتَّضرُّع للمولى الجليل للثَّبات على الإيمان

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة ﴿إِذْ﴾ في صدر الجملة:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالظَّرف ﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾، وهو ظرف للزَّمان الماضي متعلِّق بـ ﴿عَجَبًا﴾[2] في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، فيكون العجب بشأن قصَّتهم حاصلًا منذ بداية الإيواء، وأجاز أئمَّة التَّفسير أن يكون مفعولًا به لفعل مقدَّر تقديره (اذكر)، أي: اذكر حين التجأَ[3]، فتكون الجملةُ فعليَّةً ابتدائيَّة، فهي مستأنفة استئنافًا بيانيًّا للجملة التي قبلها[4]، فلمّا استهلَّ بذكر قصَّتهم، وأنكر حِسبانهم إيّاها من عظيم الآيات؛ أُثيرَ سؤال مفاده: فما كان من شأنهم؟ فقيل: اذكر حين التجأ الفتيةُ إلى الكهف، فشرع في بيان قصَّتهم إجابة لسؤالهم، و"المقصود إجمال قصَّتهم ابتداء، تنبيهًا على أنَّ قصَّتهم ليست أعجبَ آيات الله"[5].

العجبُ من قصَّتهم مصاحِبٌ من أوَّل الإيواء

سرُّ إيثارِ لفظ ﴿أَوَى﴾، وصيغة الماضي:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ ﴿أَوَى﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾، إيماء إلى أنَّ الفتية قد طوردوا حتّى أَووا إلى الكهف؛ لأنَّ الإيواء إنَّما يكون عن منازعة يحسون بأنَّهم لا قِبَل لهم بردِّ مَن يطاردهم، وفرارًا من أن يَفتنوهم عن دينهم[6]، وقد جاء

الإيواءُ يدلُّ على اللُّجوء بعد الطَّلب والهرب من الفتنة

(1) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 294.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 145.
(3) السّمين، الدر المصون: 7/ 446.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 265.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 265.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4496.

التَّعبير بالفعل الماضي للدَّلالة على أنَّهم بمجرَّد عثورهم على الكهف ألقوا رحالهم فيه، واستقرّوا به[1]، طلبًا منهم لسرعة الاختفاء عن أعين قومهم.

دلالةُ جمعِ الفتية:

ينفر من كلِّ أمَّةٍ في كلِّ زمان قِلَّةٌ من المصلحين

كان الفتيةُ الذين أووا إلى الكهف قليلي العدد؛ ولذلك عبَّر عنهم بجمع القِلَّة على وزن (فِعْلَة)، فهو جمعٌ يدلُّ على العدد القليل ما بين ثلاثة إلى عشرة، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنَّ مَن ينهض بأعباء الإصلاح، ومواجهة الظلم في كلِّ زمانٍ هم نفرٌ قليلون.

نكتةُ الإظهارِ في مقام الإضمارِ، والتَّعبيرِ بـ ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾:

أصحابُ الكهف فتيةٌ بسنِّ الشَّباب

أظهرَ النَّظمُ الجليل لفظَ الفتية في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ دون أن يقول: (إذ أووا) فوضع الظّاهرَ موضعَ المضمر؛ "لتحقيق ما كانوا عليهِ في أنفسهم من حال الفتوةِ"[2]، وللتَّنصيص على وصفهم وبيان سِنِّهم، وأنَّهم كانوا فتيةً في سنِّ الشَّباب[3]. "أي: إنَّهم شبّان في باكورة أعمارهم، نفوسُهم غضَّةٌ لم ترهقها الأوهامُ، ولا العادات والتَّقاليد، وموروثات الآباء العتيقة التي عشَّشت في رؤوس مَن قبلَهم، بل إنَّهم على الفطرة السَّليمة، والشَّبابُ دائمًا أسرع الناس إلى الحق؛ إن لم يكن في توجيههم ما يعوق عنه، أو يسدُّ الحجاب دونه"[4].

في لفظ الفتوَّةِ إيماءٌ بالرجولة المتضمِّنةِ استقلاليَّةَ القرار وسداده

وذكرَهُم بوصف ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾ الدّالِّ على كونهم أترابًا متقاربي السِّنِّ؛ "للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خَلق الرجولية المُعبَّرِ عنه بالفتوَّة، الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن

(1) طنطاوي، الوسيط: 8/ 476.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(3) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 16.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4495.

الحقِّ"[1]، وبذا فهم أهلُ "لتحقيق حالهم بتغليبهم جانبَ الله على جانب أهويتهم في حال شبابهم"[2].

فائدةُ الجار والمجرور ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾:

تحديدُ المكان ركنٌ أصيل من أركان القصص

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بشبه الجملة في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم بعد خروجهم مِن قريتهم ومفارقتهم قومَهم ذهبوا إلى جَبَلِهم الذي فيه الكهف، واتَّخذوه مأوًى[3]، والكهف ليس مكانًا للبقاء، والفرار مِن ذلك الطّاغية، لقربهِ مِن قريتهم، ولم يكن في خَلَدِهم أنَّهم سوف ينامون تلك المدَّة المتطاولة، كما أنَّ تعليقَ شبه الجملة ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ بالإيواء يكشف السَّبب في تسميتهم بأصحاب الكهفِ، فهم قد أووا إلى الكهف، وهو موطنُ المعجزة التي ظهرت فيهم.

نوعُ (ال) في لفظ ﴿ٱلْكَهْفِ﴾، ودلالتها:

الكهفُ الذي عرفوه وألِفوه جعلهُ اللهُ تعالى موقعًا لتلك الآية الباهرة

عرَّفَ النَّظمُ الجليلُ الكهفَ باللّام الدّالَّة على العهد في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾؛ لأنَّه كهف قريب لقريتهم، مشهور ببلدتهم[4]، فلم يَدُرْ في بالهم أنَّهم سَيلبثون فيه هذه المدَّة المتطاولة، وهم إنَّما أووا إليه في بدء أمرهم، ثمَّ التَجَؤوا إلى مولاهم الجليل ليهيّئَ لهم مِن أمرهم فرَجًا، فلم يكن كهْفًا مميَّزًا بما يرجِّحه على شيء آخر، بل كهفَهم المعتادَ القريب من بلدتهم.

دلالةُ العطفِ بالفاء ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ﴾:

البدارُ باللُّجوء إلى المولى الجليل من معالم الإيمانِ المتين

عطفَ النَّظمُ البليغ فعلَ القول على الإيواء بالفاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ﴾؛ لأنَّهم بادروا بالابتهال إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 266.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 8.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 18.

اللّه فورَ استقرارِهم في الكهف[1]، من غير مهلة، وهذا يدلُّ على قوَّةِ توكُّلهم على ربِّهم؛ إذ لم يختلفوا، ويطيلوا التَّفكير في شأنهم، بل هرعوا على الفورِ إلى مناجاة المولى؛ ليهيِّئَ لهم ما يُنجّيهم برحمة من لدنه.

بلاغةُ الحذفِ في ﴿رَبَّنَآ﴾:

حذفَ النَّظمُ الجليل حرفَ النِّداء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: يا ربَّنا، لأنَّ خطاب العباد ربَّهم لا يحوج للنِّداء، لقربه منهم، واستبطانه أسرارَهم.

اللّه تعالى أقربُ للعبدِ من نفسه؛ فهو الذي يتولَّى أمره

إيثارُ لفظ الرُّبوبيَّة وإضافته إلى ضمير المتكلِّمين:

إيثارُ لفظ الرُّبوبيَّة مع إضافته إلى ضمير المتكلِّمين للإشارة إلى سبق نعمائه عليهم، فنادوا ربَّهم قائلين: ﴿رَبَّنَآ﴾، أنت الذي خلقْتَنا، وكوَّنتنا، وطهَّرت قلوبنا، وخلَّصت نفوسنا من الشِّرك وأوهامه[2]؛ فمُنَّ علينا برحمةٍ عظيمةٍ تناسبُ عنايتك بأتباع الدّين الذي أمرتَ به[3].

مُصطفي البشرِ ومطهِّرُ قلوبِهم لا يخذل عبادَهُ الصادقين

دلالةُ فعلِ الأمرِ في ﴿ءَاتِنَا﴾:

عبَّرَ النَّظمُ البليغُ بفعل الأمر في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ الدّالِّ على الطَّلب إنشاءً للدُّعاء؛ لأنَّه من أدنى رتبة إلى أعلى رتبة، ففعلُ الأمرِ الصّادر من العباد في خطابهم للمولى الجليل إنَّما يُراد به الدُّعاءُ والطَّلبُ على سبيل الحاجة والافتقار، فهو ليس للأمر، بل للدُّعاء والاسترحام.

التَّضرُّع إلى الله تعالى بالدُّعاء مخُّ العبادة ولبُّها

سرُّ إيثارِ فعل (الإيتاء) على غيره:

أوثرَ لفظُ (الإيتاء) دون (الإعطاء)؛ لأنَّ الإتيانَ أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاءَ له مطاوعٌ، يُقال: أعطاني،

شدَّةُ رَغَبهم إلى الله دليلُ قوَّةِ إيمانهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 18، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 266.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4496.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 266.

فعطوتُ، ولا يُقال في الإيتاء: آتاني، فأتيت، وإنَّما يُقال: آتاني فأخذتُ، والفعل الذي له مطاوع أضعفُ في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له[1]، وطلبُهم بلفظ الإيتاء يناسبُ قوَّةَ لجوئهم إلى الله تعالى، وشدَّةَ حاجتهم إلى رحمته.

معنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن لَّدُنكَ﴾:

لا يرتجي المؤمنُ مِنَ الله تعالى إلّا كمالَ رحمته

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ ابتدائيَّةٌ متعلقة بآيتنا، أو بمحذوفٍ وقعَ حالًا من مفعوله الثاني[2]، فالنجاة أنْ تبتدِئَ من لدنك رحمتنا، ويجوز أن تكون للتَّجريد، كما في قولك: رأيتُ منك رَشَدًا[3]، أيْ: بلغَ من رؤيته الرَّشَدَ منه حدًّا يجوز معه أن يستخلص منه آخرَ مثلَهُ في صفة الرَّشَدِ، ومعناها في الآية الدلالة على المبالغة في كمال الرَّحمةِ المرجوَّةِ من لدنه تعالى.

سرُّ تقديمِ الجار والمجرور على المعمول:

سألوا أعلى الرَّحمات لما فيهم من الضّيق الشَّديد

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة مِنَ الجارِّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾، دون أن يقول: (آتنا رحمة من لدنك)، على مقتضى الأصل في ترتيب نظم الجملة العربيَّة؛ لأنَّ تقديم الجارِّ والمجرور أفاد الاختصاص، أي: إنَّهم لم يسألوا الله تعالى مطلق الرَّحمة، بل "رحمةً مختصَّةً بأنَّها مِن خزائن رحمتك وجَلائل فضلك، وهي المغفرةُ في الآخرة والأمن من الأعداء والرِّزق في الدُّنيا"[4].

نكتةُ إيثارِ التَّعبير بـ ﴿لَّدُنكَ﴾ على (عندك):

الرَّحمةُ صادرةٌ من ذات الجليل، لا من حيِّزٍ مكانيٍّ عنده

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالظَّرف (لدى) دون (عند) في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾؛ للدَّلالة على صدور الرَّحمة

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 323.
(4) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 16.

من الله تعالى، ومن مستبطن الأمور التي عنده وأسرارها الخفيَّة[1]؛ لأنَّ (لَدُن) تدلُّ على عنديَّة صدورٍ وامتداد مِن رقَّة الباطن، لا عنديَّة مكان وتحيُّز فيه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: 6]، أي: صادرًا منه ﷻ، أي: مِن خزائن رحمته سبحانه[2]، فهو أبلغُ من (عند) وأخصُّ، قال تعالى: ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۝٧٦﴾ [الكهف: 76][3]، فآثر التَّعبيرَ بـ(لدن) للدَّلالة على صدور الرَّحمة منه تعالى، أي: "من خزائن رحمتِك الخاصَّةِ المكنونةِ عن عيون أهلِ العادات"[4]، فيؤول المعنى: أنَّهم طلبوا رحمةً صادرة من ذات الله تعالى، وهي أبلغُ رحمةً، ولا رحمةَ بعدها.

فائدةُ التَّعبير عن الرَّحمة بالتَّنكير:

تعظيمُ الرَّحمة وإطلاقها توكُّلًا على الله تعالى

جاءَ النَّظمُ الحكيمُ بلفظ الرَّحمة بصيغة التَّنكير في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾؛ لما في التَّنكير من دلالةٍ على التَّعظيم والتَّنويع، فتشملُ المغفرةَ في الآخرة والأمنَ من عدوِّهم، وتهيئةَ الرِّزق في الدُّنيا[5]، فعظَّموا شأن الرَّحمة التي سألوها، فهي رحمة خاصة عظيمة وافرة، وجعلوها مطلقةً على وفق ما يقدِّر الله تعالى لشأنهم، فهو يعلم ما ينفعهم، وهو اللَّطيف بعباده.

دلالةُ عطفِ جملة ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾:

من تمامِ الرَّحمة تهيئةُ أمور النَّجاة والتَّوفيق

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ معطوفةٌ على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾[6]، فبعد أن سألوا الله تعالى رحمةً مخصوصةً؛ أتبعوا ذلك بأن "سألوا اللَّهَ أن يقدِّرَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 18.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (لدن).
(3) الرّاغب، المفردات: (لدن).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(5) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 16.
(6) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 145.

لهم أحوالًا تكون عاقبتها حصول ما خوَّلهم مِنَ الثَّبات على الدّين الحقِّ والنَّجاة مِن مناوأة المشركين"[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالتَّهيئة:

مـفـارِقُ الـدّيـار فارًّا بدينهِ أحوجُ إلى إصلاح حالهِ وتوفيقه للرَّشاد

التهيئةُ هي إعدادُ أسباب حصول الشيء[2]، وعبَّر النَّظم الجليل بلفظ التَّهيئة في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ طلبًا منهم أن يُحدِث الله تعالى لهم ما يُصلح لهم حالهم، فالهيئة من: هيَّأتُ الشَّيء، أي: أصْلَحتُهُ[3]، فقوله جلَّ شأنه: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ يعني: أصلحْ لنا من أمرنا، ورتِّب، وأتمم ما فيه الخير والرَّشاد[4]، وإنَّما سألوا بهذا اللَّفظ؛ لأنَّهم فارقوا أهلهم، وتركوا كلَّ شيء، فلا مأوى غير الكهف يُؤْويهم، فكانوا أحوجَ شيء إلى إصلاح حالهم، وهذا ما يعبِّر عنه طلب التَّهيئة.

فائدةُ القيدِ بالجار والمجرور ﴿لَنَا﴾:

فِي الـشَّـدائـد المرءُ إلى إخوانه أحوجُ

قيَّدَ النَّظمُ الجليل فِعلَ التَّهيئة بشبه الجملة من الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ سؤالهم لجميعهم، فلا تكون التَّهيئة لبعضهم، أي: لا تخيِّب منّا أحدًا[5]، وهذا القيدُ يفيد أن تكون تلك التَّهيئة واصِلةً لهم، مخصَّصةً بهم؛ فليس المرادُ مطلقَ التَّهيئة، بل ما يصل أثرها إليهم ممّا يحتاجونه.

إيثارُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿أَمْرِنَا﴾، وسرُّ إضافته:

طـلـبُ الـرِّعـايـة مناسبةٌ لواقع الحال

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ الأمر في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ للدَّلالة على الحال الذي هم عليه من مفارقة الكفّار[6]، وتركِ الدّيار والاجتهادِ في إقامة الدّينِ وحفظِ إيمانهم،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 266.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 266.
(3) الجوهري، الصحاح: (هيأ).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 18.
(6) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 16.

فالأمر كلمةٌ تدلُّ على مجموع ما هم فيه مِن شأن الإيمانِ واعتزال النّاس والخروجِ إلى الكهف، وإضافتهُ إلى ضمير المتكلِّمين للإشارة إلى ما لا يخفى على الجليل من خصوص حالهم، فكلمةُ الأمر تصفُ مجموعَ ما هم فيه، فيكون طلبُ التَّهيئة مراعيًا لهذا الحال.

سرُّ تقديمِ ﴿لَنَا﴾ على ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾:

تقديمُ المرغوبِ به أفصحُ في بيان الحاجة

قدَّمَ النَّظمُ البليغُ شبهَ الجملة ﴿لَنَا﴾ على شبه الجملة ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾؛ إيذانًا من أوَّلِ التَّعبير بأنَّ ما سألوه هو مرغوبٌ فيه لديهم، وأنَّهم بحاجة له[1]، والتَّعبيرُ ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ يوحي بالحالة الشَّديدة التي هم بها، فقدَّموا ما يشعرُ برغبتهم بالمسؤول على الحالة الموجبة لسؤالهم ذلك.

علَّةُ تقديم شِبْهَي الجملة على المفعول به:

الاعتناءُ بالسّائل وحالهِ أَوْلى مِن بيان المسألة

قدَّم النَّظمُ البليغ شبهَي الجملة على المفعول به في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، ولم يقل: (وهيّء رشدًا لنا من أمرنا)؛ وذلك "لإظهار الاعتناء بهما وإبرازِ الرغبةِ في المؤخَّر بتقديم أحوالِه، فإنَّ تأخيرَ ما حقُّه التَّقديمُ عمّا هو من أحواله المُرَغَّبة فيه، كما يورث شوقَ السّامعِ إلى وروده، وينبئ عن كمال رغبةِ المتكلِّم فيه واعتنائِه بحصوله لا محالة"[2].

علَّةُ إيثارِ لفظ الرَّشَدِ نكرةً:

مآلُ الهدايةِ إلى الـرَّشَـدِ حُسْنُ العاقبة

الرَّشد: إدراكُ الأمور إدراكًا مستقيمًا لا عِوجَ فيه[3]، وإصابةُ الطريق الموصلِ إلى المطلوب، والاهتداءُ إليه[4] من خيرٍ، وحقٍّ، ونفعٍ، وصلاحٍ، ووجه إيثاره مفتوحَ الرّاء والشّين في هذه السّورة، وفي هذا الموضع؛ لأنَّ تحريك الحرفَيْنِ فيهما أنسبُ بالكلمات الواقعة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4496.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 206.

في قرائن الفواصل[1]، ووجهُ تنكيرِه ليعمَّ جماع المعاني التي ذُكِرت؛ رجاء أنْ تحقِّقَ لنا حُسْن العاقبة، بأنْ تجعلنا مهتدين غير ضالّين، ثابتين على الحقِّ غيرَ حائرين.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيواءُ واللُّجوءُ:

المَلجأ يدلُّ على التَّحصُّن بمعقل، والمأوى منزلٌ يؤوى إليه

المَأْوى: مَكانُ كُلِّ شَيْءٍ يأوي إِلَيْهِ لَيْلًا أَوْ نَهارًا[2]، أَوَيْتُ مَنْزلي وإِلى مَنْزِلي: عُدْتُ، وآوانا، أَي: ردَّنا إِلى مأْوًى لَنا، ولَم يَجْعَلْنا مُنْتَشِرينَ كالبهائم، والمَأْوى: المنزلُ[3]، تقول: أوى إلى كذا: انضمَّ إليه، وآواهُ غيره يُؤْويهِ إيواءً، قال ﷻ: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ﴾ [هود: 43]، ومعناه في الآية "صاروا إليه، ونزلوه، وسكنوه، والتجؤوا إليه، وجعلوه مأواهم"[4]، وأمّا المَلْجَأُ؛ فهو المَكانُ يُلْتَجَأُ إِلَيْهِ، قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ [الشورى: 47]، وهو المَعْقِل، وما يُتَحصَّن به؛ قلعةً ونحوها، يُقالُ: لَجَأْتُ إِلَى فُلانٍ، والتَجَأْتُ: اسْتَنَدْتَ إليه، واعْتَضَدْتَ بِهِ[5]، فالملجأُ: مكان أو معقل يتحصَّن به كقلعة، واللجوء هو التَّحصُّن طلبًا للحماية والسَّلامة، وإنَّ التَّعبيرَ عن أصحاب الكهف بأنَّهم أووا إلى الكهف أدقُّ في التَّعبير؛ لأنَّ الكهف ليس معقلًا ولا حصنًا.

التَّهيئةُ والإعداد:

التَّهيئةُ إصلاحُ الحال، والإعدادُ جعْلُ المطلوب متناولًا متاحًا

التَّهيئةُ هي إصلاح الشَّيءِ، وجعلُ الحالة بحيثُ تكون مناسبةً للمطلوب، فهي تحقيقُ الحالة المناسبة، أمّا الإعداد؛ فيدلُّ على جعلِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 267.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أوى).
(3) ابن منظور، اللسان: (أوا).
(4) القنّوجي، فتح البيان: 8/ 15.
(5) ابن منظور، اللسان، والسمين، العمدة: (لجأ).

المطلوب متاحًا للتناول بحسب الحاجة، ولا يخلو الإعدادُ من أخذ العبد بالأسبابِ، فعبَّر في الآية بالتَّهيئة؛ لأنَّها مطلبُهم - وإن تقطَّعت بينهم الأسباب - وهو إصلاح الحالة التي تُناسب خروجهم مِن بلدهم، ومفارقتهم مساكنهم، فحالهم أحوجُ إلى الإصلاح.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»